المحاضرة الأولى: التفسير بالمأثور (بالرواية)، وأقسامه.

أنواع التفسير.

لقد تعدَّدت وتنوَّعت كتب التفسير، مما يدل على مدى اهتمام المسلمين بكتاب الله، وبذلهم جهودًا لشرحه من جوانب مختلفة، وقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات حسب تقسيمات علمية إلى نوعين رئيسيين:

- التفسير بالمأثور: وهو تفسير بالرواية أو بالمنقول.
- التفسير بالرأي: وهو تفسير بالدراية أو بالاجتهاد.[1]

أولاً: التفسير بالمأثور (بالرواية)، وأقسامه:

1- : مفهوم التفسير بالمأثور:

بعد التعرف على معنى التفسير لغة فيما سبق يتعين معرفة المأثور من الناحية اللغوية.

المأثور لغة : " مأخوذ من الأثر، وهو بقية الشيء، جمع آثار وأثور، والأثر: مصدر قولك أثرت الحديث آثره، إذا نقلته عن غيرك ورويته، ومن هنا قيل: حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضا أي ينقله خلف عن سلف ".[2]

التفسير بالمأثور اصطلاحا:

تتشابه تعريفات أهل العلم للتفسير بالمأثور فقد عرفه الإمام الزرقاني: "بقوله هو تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه، أو بالسنة النبوية، أو بما نقل عن الصحابة الكرام، وبما نقل عن التابعين".[3]

---

[1] ينظر: أحمد حسن فرحات- في علوم القرآن عرض ونقد وتحقيق-الأردن- دار عمار- (د.ط)- 1421هـ- 2001م- ص: 251.

[2] ينظر: ابن منظور- لسان العرب- مادة: (أثر)- ج: 01- ص: 69 و الفيروز آبادي- القاموس المحيط- ج: 1- ص: .682

[3] ينظر:الزرقاني- مناهل العرفان- ج : 02- ص: 12.

وعرفه مناع القطان فقال: "هو الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة لأنهم اعرف الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة.[1]

هذا المسلك يتوخى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، لا يجتهد في بيان معنى من غير أصل ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

ومما سبق فمراتب التفسير بالمأثور على النحو التالي:

1- تفسير القرآن بالقرآن:

لقد تكفل الله ببيان القرآن وتفصيله وإيضاحه قال تعالى: ﴿ ﴾[2]، ومن بيان القرآن ما جاء في القرآن نفسه إذ أن تفسير القرآن بالقرآن من أصح طرق التفسير وأبلغها، ولا عجب في ذلك لأن قائل الكلام هو أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، ولذا فقد عد العلماء هذا اللون من التفسير في الدرجة الأولى، وأنه من أعلى المصادر وأجودها ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن أصح الطرق في ذلك ـ أي في التفسير ـ: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر".[3]

وأول من استعمل القرآن الكريم في تفسيره هو النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَت هَذه الآيَةُ ﴿ ﴾

---

[1] - ينظر: مناع القطان – مباحث في علوم القرآن- القاهرة – مكتبات وهبة – ط7- (د.ت)- ص : 337

[2] – سورة الأنعام- الآية 127.

[3] - ابن تيمية- مقدمة في أصول التفسير – ت : عدنان زرزور- ط.2- 1392 ه- 1972م - ص : 93.

ذَلكَ عَلَى أَصحَاب النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمَ يَلبس إِيمَانَهُ بظُلمٍ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:

" إِنَّهُ لَيسَ بذَاكَ أَلَا تَسمَعُونَ إِلَى قَول لُقمَانَ:

2- تفسيراً للقرآن بالسنة النبوية:

إن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في الدرجة الثانية من ألوان التفسير، إذ هو صلى الله عليه و سلم المكلف بالبيان والشرح، وخير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم، مع أنا نقطع بعصمته وتوفيقه صلى الله عليه وسلم[4]، كما قال الله تعالى:

---

[1] - سورة الأنعام- الآية :83.

[2] - سورة لقمان- الآية :13.

[3] - أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم (6520) . ص: 2535.

[4] - ينظر:الزرقاني- مناهل العرفان- ج : 02- ص: 13.

عليه وسلم القوة بالرمي.[2]

3 – تفسير القرآن بأثر الصحابة:

تميز الصحابة رضي الله عنهم بمعاشرتهم لعصر التنزيل، فرأوا الآيات وهي تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقلوا عنه ما فسر لهم من الآيات، كذلك كانوا فصحاء وبلغاء وأهل اللغة التي نزل بها القرآن ، ولهم من الفطنة والذكاء وبعد النظر، وعظمة الاستنباط، ما جعل لهم كبير الأثر في التفسير ونقله.

ومن أمثلة تفسير القرآن بأثر الصحابة ما يلي:

1- ما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن عباس في تفسير قوله الله تعالى : ﴿

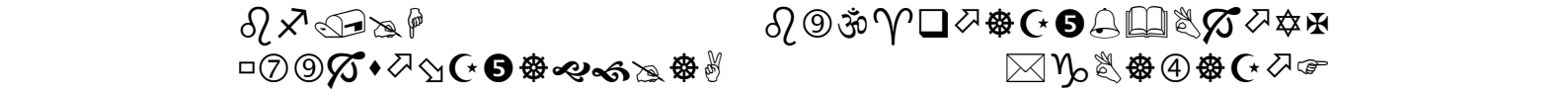

قال: أما الأولى فحين قال: " ما علمت لكم من إله غيري " وأما الآخرة فحين قال:" أنا ربكم الأعلى."[4]

4 – تفسيراً للقرآن بأقوال التابعين:

التابعون خيرُ الناس بعد الصحابة وكانوا أسلم من الأهواء ممن بعدهم، ولم تكن اللغة

---

[1] – سورة الأنفال– الآية :61.

[2]– أخرجه مسلم، الصحيح المسند، كتاب الإمارة، رقم (3541).

[3] – سورة النازعات – الآية :25.

[4] – ينظر: الطبري – جامع البيان –ج : 30– ص: 100.

العربية تغيَّرت كثيراً في عصرهم، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم؛ لأنهم تلقَّوه من الصحابة غالباً. واختلف أهل العلم في هذا القسم، هل بعد من أنواع التفسير بالمأثور أم من أنواع الرأي والاجتهاد.

يقول الدكتور الذهبي رحمه الله تعالى: "والذي تميل إليه النفس هو أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه ، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب ، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه ، أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره "[1]

ومن أمثلة تفسير القرآن بأقوال التابعين:

ما رواه الإمام ابن جرير عن الإمام مجاهد في قوله : ﴿ ﴾[2]، " قال الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، حتى تغشى الذنوب عليه قال مجاهد: مثل الآية التي في سورة البقرة ﴿ ﴾[3]

﴿ ﴾[4]

---

[1] – حسين الذهبي– التفسير والمفسرون– ج : 01– ص: 128.

[2] – سورة المطففون– الآية :14.

[3] – سورة البقرة– الآية :80.

[4] – ينظر: الطبري – جامع البيان –ج 30– ص: 100.:

ويلاحظ على هذا المنهج من التفسير – عموماً – أنه يعتمد على الرواية الثابتة في تفسير القرآن الكريم، سواء أكانت تلك الرواية نصاً من القرآن أو السنة، أم قولاً لصحابي أو تابعي.